STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

Sociological analysis of the phenomenon of voices in Zahran Al Qasimi's *Alienation of the water diviner*

Haidar Mahallati [1]

Abstract

Zahran Al-Qasimi, an Omani novelist, won the Booker International Prize for Arabic Fiction in 2023 for her novel The Alienation of the Water Diviner. Al-Qasimi's narrative records the struggles of an Omani rural community against the dual forces of nature and human ambition. This paper examines the social realities depicted in the novel through employing a sociological framework in order to explain the structure of social relations as determined by interpersonal interactions within the community. A distinctive feature of the novel, this paper suggests, is its emphasis on a selection of sounds and voices that permeate its narrative line. Al-Qasimi skillfully employs these auditory elements, focusing on both human sounds and the natural environment, to uncover their significance and impact on human existence. This research adopts a descriptive-analytical approach to examine the author's unique employment of sound as a narrative device. It aims to decode the significance of these sounds, their impact on human life, and their relationship to the villagers' culture and thought. Furthermore, the study investigates how Al-Qasimi skillfully employs sound as a tool to point to the villagers' unspoken hardships.

Keywords: Arabic narratology, Zahran Al Qasimi *The Alienation of the Water Diviner*, Sultanate of Oman, The Omani novel, Sociological analysis.

Winter (2024) Vol 6, No. 15, pp. 119-148

Received: 18/07/2024 Accepted: 18/12/2024

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

[1] Associate Professor of Arabic Language and Literature, University of Qom, Iran, Email: *h.mahallati@qom.ac.ir*

© The Author(s).
Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩

مقالة علمية محكمة

التحليل السوسيولوجي لظاهرة الأصوات في رواية "تغريبة القافر" للقاص العُماني زهران القاسمي

حيدر محلاتي [١]

الملخص

زهران القاسمي روائي عُماني فاز بالجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) عام ٢٠٢٣م على روايته الاجتماعية "تغريبة القافر". والرواية تصوّر البيئة القروية في بلاد عُمان وتحديات الحياة فيها وما يكتنفها من واقع يتأرجح بين سطوة الطبيعة وطموح الإنسان. وتأتي هذه الدراسة لتسلّط لضوء على البُعد الاجتماعي للرواية وفقاً لأصول التحليل السوسيولوجي القائم على فحص الوقائع الاجتماعية والتمييز بين أجزائها بغية تحديد علاقات الأجزاء بعضها بالبعض الآخر. والملاحظ في الرواية أنها تركّز على جملة من الأصوات البشرية وغير البشرية سواء المسموعة أو المهموسة، وهي في مجموعها ترمز إلى معان ودلالات تأتي واضحةً تارةً ومبطّنةً تارةً أخرى. وقد حاول الروائي أن يربط بين هذه الأصوات والظروف الاجتماعية التي عاشها القرويون في مسعى لقراءة الواقع الاجتماعي لهم. وتكمن أهمية هذه الدراسة في معرفة المنحى الإبداعي الذي ابتكره الكاتب في تحليله الاجتماعي عبر ظاهرة الأصوات ورمزيتها المعبّرة. وتهدف هذه الدراسة من خلال استخدام المنهج الوصفي–التحليلي إلى معرفة الأغراض التي دعت الكاتب إلى توظيف هذه الأصوات توظيفاً سردياً متقناً يُعد في حد ذاته نمطاً مبتكراً في العمل الروائي الحديث. ومن جملة الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة فكّ رموز تلك الأصوات وبيان مضامينها المرتبطة بتقاليد الناس في الأرياف وطريقة تفكيرهم وتعاملهم في المجتمع. ولعل أهم ما يُستنتج من هذه الدراسة أنّ الروائي استطاع بحرفية مشهودة أن يوظِّف عنصراً مهماً من عناصر الطبيعة وهو الصوت ليدلَّ على معاناة مكبوتة عاشها الريفي قلباً وقالباً دون أن يجد لمشاكله المستديمة حلاً ناجعاً أو تغييراً ملحوظاً في نمط الحياة.

الكلمات الدليلة: السردانية العربية، زهران القاسمي، تغريبة القافر، الرواية العُمانية، سلطنة عُمان، التحليل السوسيولوجي.

تاريخ الوصول: ٢٠٢٤/٠٧/١٨
تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٢/١٨

[١] أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم، قم، ايران، البريد الإلكتروني: h.mahallati@qom.an.ir

الناشر: © جامعة الخوارزمي والجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها.
حقوق التأليف والنشر© المؤلفون

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

١. المقدّمة

زهران القاسمي شاعر وروائي عُماني ولد سنة ١٩٧٤م في ولاية (دماء والطائيين) في سلطنة عُمان. أصدر دوواوين شعرية عدَّة منها: أمسكنا الوعل من قرونه (٢٠٠٦م)، الهيولى (٢٠٠٨م)، أغني وأمشي (٢٠٠٨م)، يا ناي (٢٠٠٩م). من أعماله الروائية: جبل الشوع (٢٠١٠م)، القنّاص (٢٠١٤م)، جوع العسل (٢٠١٧م)، تغريبة القافر (٢٠٢٢م). ويُعد القاسمي أول روائي عُماني يتوّج بالجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها السادسة عشرة لعام ٢٠٢٣م على روايته "تغريبة القافر". وقد سبق أن حصل على جائزة الإبداع الثقافي من الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء عام ٢٠١٥م على روايته "القنّاص" (محمَّد، ٢٠٢٣: ٣٠).

ورواية "تغريبة القافر" رواية اجتماعية بامتياز تجسّد واقعاً ملموساً لحياة الريفيين في سلطنة عُمان، وما يميّزها عن الحياة في المدن من بساطة عيش وسذاجة تفكير وعفوية تعامل وسطوة تقاليد، وهي في الغالب تشكّل بمجمل هذه الخصوصيات العمودَ الفقري للترابط الاجتماعي لدى أبناء الريف العُماني. وهذه الدراسة تستطلع الصورة الاجتماعية التي رسمها القاص في روايته من خلال التحليل السوسيولوجي المتفحّص لعلاقة الإنسان ببيئته الاجتماعية وطبيعة العلاقات بين الجماعات والفئات المختلفة في البيئة الواحدة. فالسوسيولوجيا كما يراها علماء الاجتماع هي «دراسة التركيب الاجتماعي، أي تركيب المواد الرئيسية التي تتألف منها البيئة الاجتماعية ومدى فعاليتها، كما تعنى بدراسة الظروف التي تطورت فيها المؤسسات الاجتماعية» (بوتول، ١٩٨٤: ١٣٧). ورواية زهران القاسم تفضي بطابعها البيئي إلى ذلك النسيج الاجتماعي المتجانس نقصاً وحرماناً، والمتفاوت فكراً وإيماناً، والذي يتشبث دائماً بعاداته وتقاليده الموروثة.

لقد صوّرت الرواية بلغتها المبسَّطة التي تخللها شيءٌ من اللهجة العُمانية وبعض أمثالها الشعبية حياةَ القرويين في الأرياف ومعاناتهم في الحصول على ماء الشرب والزراعة. فكان الماء همهم الأول والأخير، وعليه تدور رحى الحياة بكل ما تحمل من شؤون وشجون. وإذا ما قيست حياة القرية بالمدينة فسيبقى البون واسعاً؛ نظراً لتوافر مؤهلات الحياة الفضلى في المدينة وانعدامها في القرية. وقد استطاع الروائي وبحرفية مشهودة وموضوعية تامة وصف ألوان الحرمان المقيت الذي عاشه أبناء الريف، دون أن ينجرف وراء الإسفاف أو يتورّط في تكلّف مصطنع. فالحبكة السردية متقنة، وشخوص الرواية تقوم بأدوارها بدقة، وتوالي الأحداث يتم بنظم منطقي، والخيال يضفي بين الحين والآخر مسحات جمالية ولمسات فنية على الرواية لتشد القارئ وتحثّه على المتابعة والمواصلة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ دقة الوصف والتصوير في هذه الرواية، وخاصة وصف الطبيعة الريفية والجبلية ارتقت مستويات عليا تخبر بأنَّ الروائي جسَّد الطبيعة في ذاته وعاشها في الصميم، ففي وصفه البيئي «تفاصيل قلَّما يمسك عليها من لم تعش الطبيعة في روحه، مثلما عاش في أكنافها» (السليمية، ٢٠١٦: ١٢٠).

ولعل السمة البارزة في هذا العمل الإبداعي والظاهرة المتألقة فيه هي توارد طائفة من الأصوات والأصداء سواء المسموعة أو المهموسة في زحمة منتظمة، برع الكاتب في توظيفها سردياً واستخراج معانيها المبطَّنة ليدل في مواضعها المعيّنة على مضامينها

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

التي جاءت رموزاً وهمسات. فلم يخل فصل من فصول الرواية الاثني عشر من تلك الأصوات المتصاعدة التي تماثلت لتفصح عن أوجاع الماضي وويلات الحاضر ورؤى المستقبل المجهول. فحديث هذه الأصداء المنبثقة من عمق الواقع المأزوم انما هو حديث معبّر عن تمنيات مكبوتة لم تر النور فباحت بأسرارها ترانيمَ شجيَّةً تناغمت ومعزوفة الماء المتدفّق.

١.١ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة من خلال التحليل السوسيولوجي إلى معرفة مقوّمات المجتمع الريفي المتجسِّد في رواية "تغريبة القافر" وتحدياته أمام الطبيعة الثائرة وعتوها المستميت في مسعى لاستعراض طاقات أبطال القصة وعلى رأسهم "القافر" الذي ما فتئ يناهض التأقلم ويرفض الاستسلام الممض.

ومن الواضح أن تتناول هذه الدراسة الأبعاد الاجتماعية لبيئة الرواية، وما ينتاب أفرادها من حالات نفسية تتجلّى في ثنايا الرواية وجوانبها كافة. فالرواية فضلاً عن تقنياتها الفنية في السرد القصصي تجمع بين دفتيها مواضيع رئيسة مهمة تبحث في علوم الطبيعة وعلم الاجتماع وعلم النفس. وتبقى مَقدرةُ الكاتب وبراعته وتجربته الفنية في توظيف هذه العلوم في عمله الإبداعي دليلاً على علو وعيه الكتابي ودقته في التحليل الاجتماعي والنفسي ومعرفته بآراء الفلاسفة والمفكرين فيما يتعلق بالعقل الباطن وتشابك الغرائز وصراع النزعات وتأثير ذلك على البواعث الظاهرة من سلوك البشر (تيمور، ١٩٧٠: ٤٣).

١.٣ أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة من خلال الغور في أعماق الرواية وتحليل مضمونها الاجتماعي تحليلاً سردانياً سوسيولوجياً أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما هي طبيعة الأصوات التي تناولها الكاتب في روايته "تغريبة القافر"؟

٢- ما هي الرموز والمضامين التي استقاها الروائي من مجموع الأصوات الواردة في الرواية؟

٣-كيف استطاع القاص أن يوظِّف الأصوات في صياغة روايته الاجتماعية؟

١.٤ خلفيّة البحث

يُعدُّ فوز رواية "تغريبة القافر" للروائي العُماني "زهران القاسمي" بجائزة بوكر حدثاً مهماً في الحياة الأدبية لسلطنة عُمان إذ استرعت الانتباه لدراسة النتاج السردي في هذه البلاد وتقصّي الأعمال الإبداعية لروائيّها بعد أن كانت تسير في الظلِّ بعيداً عن أضواء النقد والإعلام. ونظراً لحداثة هذا الاهتمام فإنَّ الدراسات النقدية للرواية العُمانية بشكل عام ورواية القاسمي بشكل خاص لم تكن بالمستوى المطلوب وخاصة الدراسات الأكاديمية حول رواية "تغريبة القافر" والروائي نفسه تكاد تكون معدمة وغير متوافرة. وهذا لا يعني أنَّ الإعلام الصحافي قد غفل عن هذا الإنجاز الأدبي ولم يتطرّق إليه. فبعد الفوز بالجائزة كثر الحديث عن الرواية والروائي من خلال لقاءات صحفية وتعليقات ومدوّنات قد نشرت على الشبكة المعلوماتية. ولو توخيّنا

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

استظهار خلفيات للبحث وتفحّصنا المصادر المعنية بالرواية العُمانية وخاصة رواية "تغريبة القافر" وسيرة كاتبها "زهران القاسمي" لوجدنا النزر القليل في هذا الشأن يمكن أن نجمله كالآتي:

– مقالة معنونة بـ «الوظائف التواصلية للصورة الفوتوغرافيّة في رواية "تغريبة القافر" لزهران القاسمي»، من تأليف زينب دريانورد وآخرين، نُشرت في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، سنة ٢٠٢٣م، العدد ٣٦، ص: ١-٢٤. ويتناول البحثُ تجربةَ الروائي في استخدام الصورة البصرية باعتبارها أداةً تعبيرية للتواصل ووسيلةً ناجعةً للكشف عن دلالات النص الروائي بأبعاده الاجتماعية والنفسية. وخلص البحث إلى أنَّ المتلقي يتأثّر بشكل أكبر بأفكار الكاتب من خلال توظيف اللغة البصرية وما يكتنفها من إشارات وإيحاءات ورموز. ولم تتناول المقالة رمزية الأصوات الواردة في الرواية واكتفت بالتركيز على البُعد التصويري لها والاهتمام برمزيتها الموحية.

– مقالة تحمل عنوان «زهران القاسمي في رواية "القناص" عاشق يقتنص دهشة اللغة والمكان الأثير»، من تأليف يوسف حطّيني، نُشرت في مجلة الموقف الأدبي التي يصدرها اتحاد الكتّاب العرب في سوريا، سنة ٢٠١٦م، العدد ٥٣٧، ص: ١٧٥-١٩٣. والمقالة قراءة نقدية لرواية "القناص" التي نشرها القاسمي سنة ٢٠١٤م، وفيها يتحدث الناقد عن خصوصية الحياة في مجتمع الرواية، والدوافع التي حرَّضت بطل القصة على الاغتراب والعزلة، وجمالية المكان والصور الحسية التي تجلَّت بوضوح في ثنايا النص السردي، فضلاً عن البُعد الاجتماعي وما شهده المجتمع المأزوم من صراعات وخلافات حادة إثر جفاء الطبيعة وتعسفها البيئي. وثمة تشابه بين روايتي "القناص" و"تغريبة القافر" من حيث العرض والقضايا الاجتماعية المطروقة، فالبيئة هي نفسها في الروايتين والعادات والتقاليد هي ذاتها، إلا أنَّ موضوع الأصوات لم يتم التركيز عليه كما في بحثنا هذا.

– كتاب «الطبيعة في الرواية العُمانية»، من تأليف منى بنت حبراس السليمية، صدر في عُمان سنة ٢٠١٣م عن بيت الغشام للنشر والترجمة. والكتاب يدرس مكانة الطبيعة في الأدب الروائي العُماني باعتبارها مصدراً ينهل منه المبدع معاني الجمال والحرية والحب. وقد أشارت الباحثة إلى تغيّرات الأرض وتقلّبات الطقس في عُمان وتأثيرها على النفس فرحاً وأملاً أو يأساً وقنوطاً من خلال دراسة عيّنات من الأدب الروائي العُماني. وموضوع الكتاب وهو دراسة الأنواء الجوية وحضورها في الرواية العُمانية قريب الصلة إلى بحثنا، إلا أنَّ الكتاب صدر قبل تأليف رواية "تغريبة القافر" فلم يتطرق إليها، ولا إلى كاتبه؛ نظراً لحداثة عهد الكاتب بالعمل الروائي.

– مقالة تحمل عنوان «الرواية العُمانية المعاصرة؛ مقاربة تداولية»، من تأليف مها فاروق عبد القادر الهنداوي، نُشرت في كتاب أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بجامعة نزوى بعُمان، سنة ٢٠١٦م، ص: ٥٧١-٥٩٦. والبحث يتناول استراتيجيات الخطاب في الرواية العُمانية ويركّز بالتحديد على أربع منها هي: الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التلميحية والاستراتيجية التوجيهية واستراتيجية الإقناع. وفي البحث عيّنات مدروسة من أدب الرواية العُماني. ولم تتطرق الباحثة إلى أعمال زهران القاسمي الروائية، واكتفت بالاشارة إلى الاستراتيجية العامة للخطاب الروائي

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

العُماني، وهو خطاب تنضوي أعمال الروائي زهران القاسمي تحت لوائه، نظراً للمشتركات التراثية والاجتماعية التي تناولها الكاتب في سردياته.

-كتاب «توظيف التراث في الرواية العُمانية في العقد الأخير من القرن العشرين»، من تأليف بخيتة بنت خميس بن عامر القريني، نُشر في عُمان سنة ٢٠١٤م عن مؤسسة الانتشار العربي. ويتناول الكتاب في فصوله الثلاثة أشكال الحضور التراثي في الرواية العُمانية، وخصوصيات بنيتها الروائية، وتوظيف الموروثات الشعبية فيها. والحضور التراثي في رواية "تغريبة القافر" حضور بارز، إلا أنَّ الكتاب لم يتطرق إليه لابتعاده زمنياً عن تاريخ نشره.

هذه جملة من المصادر يمكن عدّها خلفيات لهذه الدراسة وإن كانت في الغالب ترتبط بالبحث ارتباطاً غير مباشر. فلذا تحاول هذه الدراسة أن تتبنّى تحليل رواية "تغريبة القافر" حسب خصوصياتها الفنية ومكوّناتها السردية التي امتازت بها وفقاً لمعايير النقد العلمي المتبعة في نقد الروايات الاجتماعية.

١.٥ منهج البحث

إنَّ المنهج الرئيسي المعتمد في هذا البحث هو المنهج الوصفي-التحليلي. وهو المنهج الذي نحاول من خلاله أن نبحث الرواية بواقعية وموضوعية لنستكشف المدى المتغوّر لعنفوان الطبيعة وتحدياتها للإنسان الطامح إلى ترويضها وجعلها طيّعةً تأتمر بأمره. ويدور البحث في حيّز متمايز من مؤثّرات الطبيعة وعناصرها الفاعلة هو الصوت. والصوت هو العنصر الأساس الذي تقوم عليه رواية "تغريبة القافر" في تجلّياته المنبثقة من واقع الحياة الريفية والطبيعة الاجتماعية بتقاليدها الموروثة وأعرافها السائدة المهيمنة على نمطية التفكير لدى الإنسان القروي. فلذا بات ضرورياً ومن منطلق الترابط الاجتماعي لأجزاء الرواية أن يُعوَّل على التحليل السوسيولوجي( ) الذي يقوم على «فحص شامل للوقائع الاجتماعية المعقدة للتمييز بين أجزائها المختلفة وتحديد علاقة كل جزء بالآخر وعلاقة كل جزء بالكل مما ينتج عنه وصف منهجي للعلاقات الاجتماعية مع بعضها البعض وفقاً للتصنيف الشكلي والموضوعي» (بدوي، ١٩٨٢: ٣٨١).

والرؤية المعتمدة للتحليل السوسيولوجي في هذا البحث هي الرؤية الحديثة التي تمنح الواقع الأدبي تصوّراً وظيفياً باعتبار الأدب حقيقة اجتماعية. وبما أنَّ كل مجتمع يقوم في الواقع على طائفة من القِيَم الموزعة على صعيد الأخلاق الاجتماعية العامة أو الأذواق الفردية الخاصة، فإنَّ هدف أية سوسيولوجيا أدبية في نهاية التحليل هي الأخذ بالحسبان صراعات القيم هذه. وبالتالي فإنَّ «الغرض الأساسي من السوسيولوجيا الأدبية يكمن في دراسة مفاعيل الاستجابة» (آرون وفيالا، ٢٠١٣: ٦٤). أي أن تكون حصيلة هذا الصراع الاستجابة لتلك القيم أو رفضها. ورواية "تغريبة القافر" مسرح صراعات قيم وبوتقة اجتماعية لتحليل أجزاء الوحدة المجتمعية وفق هذه الرؤية التحليلية.

وفضلاً عن هذا المنهج فإنَّ قراءة نفسية البطل في الرواية وما شابها من أزمات روحية لجديرة هي الأخرى بالدراسة؛ لأنَّ بطل القصة لم يكن بمنأى عن عوامل الضغط النفسي وقد تأثّر بها بشكل كبير. من هنا فإنَّ النقد النفسي( ) هو المنهج

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

الآخر الذي يُستعان به في البحث؛ لأنَّه يحلل العمل الأدبي بالاعتماد على كل من الأسس النفسية والأسس النقدية ليقف على الحقيقة من خلال لغة النص المعتمدة في الرواية (حجازي، ٢٠٠١: ١٠٧).

١.٦ الإطار التنظيري للبحث

بما أنَّ الرواية باعتبارها نصاً أدبياً ترتبط أحداثها ارتباطاً مباشراً بالبيئة كان لزاماً أن تخضع هذه الدراسة إلى النقد البيئي (الايكولوجي) الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية (جرارد، ٢٠٠٧: ١٠). فدراسة الأدب والنتاج الثقافي من أعمال فنية وإبداعات كتابية ونظريات علمية وغيرها والتي ترتبط بطريقة ما بعلاقة الإنسان بالعالم الطبيعي تُعدُّ ضرورة اجتماعية لفهم الأسباب التي دعت إلى انفصام البشرية عن العالم الطبيعي والفشل البيئي الذي مُني به الإنسان المعاصر من جرّاء افتقاده للقدرة على إدراك الترابط والتعاضد بين الأشياء (القحطاني، ٢٠٢١: ١٢١). ولم يرد النقد البيئي في الميدان الأدبي فحسب بل سبق أن ورد في حقول معرفية أخرى من مثل العلوم الطبيعية والفلسفة والعلوم الإنسانية (برانش، ٢٠٠٧: ٢٧).

وتأتي رواية "تغريبة القافر" من حيث اهتمامها بسلوكية المجتمع القروي تجاه الطبيعة وتحدياته لها ضرباً من أنواع الرواية الريفية( )، وهو نوع من الرواية ظهر بشكل واضح في القرن العشرين موضوعه حياة الإنسان في البيئة الريفية متضمّنةً العلاقات الاجتماعية في القرية وصراع الإنسان مع الطبيعة بقصد تطويعها لإرادته (وهبه، ١٩٨٤: ١٨٥).

وبما أنَّ الرواية اقتصرت على مجتمع خاص ذات طبيعة معيّنة فهي من هذه الناحية تُعدُّ نوعاً من الرواية المحلِّية( )؛ لأنَّها تقصُّ بنثرها الفني أحداثاً وتصف شخصيات متصلة بالحياة في مجتمع محلِّي مستقل عن مجتمع العواصم والأمصار، ومتميّز بأسلوب في الحياة خاص به (م.ن: ١٨٧). وقد سمّى بعض النقّاد هذا اللون من الأدب الروائي باعتبار إلمامه باهتمامات ورؤى جغرافية عرقية خاصة بالأدب الخاص؛ لتناوله نشاطاً اقليمياً ووطنياً خاصاً لا يتعداه (علوش، ١٩٨٥: ٣٢).

ورواية زهران القاسمي هي واحدة من تلك الروايات الاجتماعية التي أتقن كاتبها تصوير المجتمع بأفراده تصويراً أظهر فيه عمق الترابط الإنساني بالبيئة التي يعيشها الفرد ويحياها بكامل كيانه ووجوده. فالرواية تعج بالمظاهر الجغرافية والاجتماعية من عادات وتقاليد ما يدل على توجّه القاص في أسلوبه الكتابي إلى العلاقة الحتمية بين العمل السردي والمشهد البيئي (بومعزة، ٢٠٢٢: ١٠١).

فالإطار النظري للبحث يقوم على تحديد أواصر الترابط بين البيئة كحاضنة للإنسان اجتماعياً وايكولوجياً وبين الإنسان كعامل مؤثر في ايجاد التغييرات الرئيسة عليها سواء الايجابية أو السلبية. ورواية "تغريبة القافر" تشير بجلاء ومن خلال تقنيات سردية محكمة البناء و تأكيد بنيوي على البيئة القروية لسلطنة عُمان إلى تلك العوامل المؤثرة والتي تنطوي تحت الرؤية التنظيرية للروائي وأفقه الواسع في بلورة حبكة قصصية موفقة تجتمع فيها عناصر العمل الفني بانتظام وحرفية رائعة.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

٢. الدراسة

تحكي رواية "تغريبة القافر" حياة شاب قروي يُدعى "سالم بن عبد الله" ويُلقَّب بالقافر وهو لقب يُطلق في الثقافة العُمانية على الشخص الذي يبحث عن مصادر الماء في الأفلاج. وتدور الرواية على حياة "القافر" الذي ماتت أمّه بعد سقوطها في البئر، وفَقدَ أباه الذي وقع عليه سقف قناة فطمر تحته. عاش القافر حياة حرمان وفي ظروف صعبة أثَّرت في شخصيته فأصبحت غامضة وغير عادية. كان يتمتع بقدرات استثنائية يتنبأ بمصادر المياه الجوفية ويسمع أصوات انسياب الماء تحت الأرض ما جعل أهالي القرية يستعينون به في تقفّي عيون الماء، بعد أن سخروا منه ومن تصرفاته الغريبة. وفي يوم عَرضَ عليه أحدُ أبناء القرى النائية حفر قناة فقبلَ العرضَ ورحل معه وترك زوجته في القرية. غاب القافر عن قريته طويلاً بعدما طال البحث عن الماء، وذات يوم وبينما كان ينقّب تحت الأرض ينهار عليه التراب ويُدفن دون أن يدري به أحد. وبعد معاناة ومحنة استطاع أن يخلّص نفسه من سجنه تحت الأرض وينجو حيّاً بعد أن صارع الموت بشتى الحيل، وأفرغ ما ادخره من تجارب وخبرة من أجل البقاء.

وتعجُّ الرواية منذ البدء وحتّى النهاية بلفيف متداخل من الأصوات وكأنَّ الروائي أراد أن يضع القارئ في صورة المخطط وفحوى الرواية، ليقف على الركيزة التي استند إليها في صياغة حكايته، ويقول له بواضح العبارة إنَّ ما يقرأه من أصوات عبر الأسطر المكتوبة إنما هي جوهر الرواية ومغزاها الحقيقي الذي يريد من خلاله أن يوصل الفكرة للمتلقي عبر رمزيته المتناغمة وألحانه المتناصة وبوتيرة متناوبة كي لا يقلّ وقعها في الذهن ولا يخفت رنينها في السمع. فالقاص يبدأ مشواره الحكواتي بهذه الجلبة الصوتية: «سُمع زعيق وصياح في طرف القرية، نباح كلب في الحارة الأخرى، صرقعة دجاجات في ضواحي النخل، ونهيق حمير في عمق الوادي. الجبال تُردِّد صدى صوت طبل ضخم، الريح الغربيّة بصفيرها تَهبُّ ساخنةً لتلفح الوجوه وتعصف بسيقان الشجر، وأصوات كثيرة تتداخل لينقلب سكون الظهيرة القروي إلى حالة من الهياج» (القاسمي، ٢٠٢٢: ٧، ٨).

هذا الوصف الصوتي المتزاحم والمثير للاهتمام له من التأثير المباشر أعمق الأثر في جعل المخاطب يتأهّب ضوضائيةً ممنهجةً وهادفةً تراوده بين الفينة والأخرى وهو يسير بخطى وئيدة نحو صلب الحدث. فكلما أحسَّ الراوي بخفوت وهج الصدى أتبعه بجوقة مصوّتة أخرى تُعيد له حضور الصوت واستدامة فاعليته. وهكذا دأب الكاتب مباغتة قارئه بأصناف متنوعة من الأصوات: أصوات بشرية نساءً ورجالاً، أصوات حيوانات أليفة ومفترسة، أصوات الطبيعة كوقع المطر وعزف الرياح وخرير الجداول وغيرها. وقد يتخيّل للقارئ أنَّ الكاتب بتراكماته الصوتية هذه يخلق فضاءات استفهامية متتالية تستكنه مدلول الصوت وتستكشف علة حضوره ومدى ضرورة تناغمه مع سائر الأصوات. وهذا ما يؤثر حقّاً لدى المطالعة ويدعو إلى شيءٍ من التأمّل والتأويل. ولا نقصد بالتأويل هنا ذلك التأويل الذي يستدعيه الإغراب بل هو الرجوع إلى خلفيات النص الثقافية واللسانية. فقراءة النص لاستلهام تأمل ذاتي أمر طبيعي، أما تأويل النص يحتم احترام الأسس الثقافية والاجتماعية التي نشأ عنها هذا النص (إيكو، ٢٠٠٤: ٨٦).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

فثمة ترابط وتعاضد بين الثقافة المتمثلة باللسان وبين الطبيعة المتجسدة في الأصوات، والثقافة من منظور اجتماعي «تمثّل جملة من المبادئ والمعايير المادية والمعنوية الكائنة بصورة تجريدية في أذهان أفراد المجتمع، ترتسم فيها القواعد والمعايير الثقافية المتوارثة جيلاً بعد جيل؛ ولذلك فإنَّ الجانب المادي المتواجد في البيئة من قبيل المناخ والأرض والمصادر الطبيعية وما يسند إليها من قيم ويرتبط بها من طقوس يساهم مع الجانب المعنوي في تشكيل ورسم السمات والملامح الثقافية للشعوب» (الحايني، ٢٠١٦: ١٦). ونجد كل هذا متجسداً في رواية القاسمي وكأنها فسيفساء ذات ألوان معرفية شتى، يعبّر كل لون عن رؤية وطموح وفكرة.

ولكي نقف عند طبيعة الأصوات والأصداء التي تناولها الكاتب في روايته ونستفهم مغزاها أصبح ضرورياً أن نصنّفها حسب مدلولها الحقيقي والغاية المتوخاة من توظيفها التناصي استبياناً للفكرة المختمرة في ذهن الكاتب والتي شيّد عليها بنيان قصته. ويمكن أن نصنّف هذه الأصوات كالآتي:

٢.١ أصوات الوهم والخيال

ثمة أصوات تختلف عن طبيعة الأصوات التي يسمعها الإنسان في أرض الواقع، لا يسمعها بالأُذن بل يحسُّ صداها في الذهن دوياً ورنيناً. وهي حالة مرضية نفسية تنتاب الإنسان المصاب بداء يُدعى الذُّهان( ) وهو في تعريفه العام قصور القدرة على التكيّف الاجتماعي واضطراب ملكة التواصل وغياب الوعي الذاتي بالحالة المرضية وفقدان الصلة مع الواقع (لابلانش، ١٩٩٧: ٢٥٤؛ طه، ١٩٨٩: ٢٠٦؛ بدوي، ١٩٨٢: ٣٣٧). ويطرأ على الشخص المصاب في هذه الحالة المرضية تغيّراً في التفكير والشعور بالذات والتفاعل مع الآخرين اجتماعياً ما يجعل التفريق بين الواقع والإدراك الذاتي أمراً صعباً، وقد يؤدي بالمصاب إلى سماع أصوات لا يسمعها عامة الناس.

وهذه هي الحالة المرضية التي كانت تعاني منها (مريم بنت حمد ود غانم) أم بطل القصة (سالم بن عبد الله القافر) التي ظهرت في بادئ الأمر حالة صداع. ولم تكن تعرف لا هي ولا زوجها ولا أحد من أقاربها وجيرانها بإصابتها. وتصوّر الرواية تفاصيل ظهور هذه الحالة وتصف أعراضها التي ظهرت على أم القافر بالقول: «قبل حملها بأشهر اعتراها صداعٌ مزعج فعزت ذلك إلى قضاء وقت طويل في تطريز الملابس، وكانت كلّما اشتد عليها الصداع تركت ما في يدها واستلقت قليلاً. لكنها منذ أن حملت صارت تسمع داخل رأسها طرقات هائلة، زعمت أنها تكاد تفلقه، وعندما تنام تحلم بزندين كبيرين يحملان مطرقة ضخمة ويهويان بها على صخرة صمّاء. وظلَّ الحلم ذاته يتكرر كل ليلة فتصحو ورأسها يكاد يتهشّم، ولا تكاد تقوى على حمله من ثقله وشدّة الألم. ثم لاحظت أنَّ صداعها يخفُّ إذا أغمضت عينيها، وعندما نزلت مرَّةً إلى حوض الماء بجانب البئر وغاصت تحت الماء لاحظت أنَّ الصداع اختفى تماماً» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٨، ١٩).

ويعزو علماء النفس هذه الحالة المرضية إلى القلق النفسي الذي يحدث إثر تراكمات واضطرابات نفسية تنشأ من خلال الظروف الصعبة التي يمرُّ بها المصاب طيلة حياته وما يتعرض فيها من حرمان واضطهاد وكبت يضطره إلى الرضوخ والاستسلام

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

دون السماح له بالانتقام ما يؤدي في نهاية المطاف إلى غيظ وانفعال تظهر أعراضه في شخصيته وتعامله مع الآخرين. فتعرّض الشخص لضغوط وأزمات كبيرة يؤثّر على صفاء نفسه والتوازن النفسي ويلحق الضرر بالوظائف السلوكية والعاطفية والعقلية (السطالي، ٢٠١٨: ٩٦). وتزداد هذه الحالة عند المرأة أكثر من الرجل؛ لأنَّ البيئة والتقاليد والأعراف وغير ذلك من الاعتبارات تؤاخذ المرأة وتحمّلها المسؤولية أكثر مما تؤاخذ الرجل، ما يؤدي بها الأمر إلى الكبت والحرمان فتدفن المرأة أحزانها في قلبها وتشيع فيها الانفعالات النفسية (فرويد، ٢٠٢٢: ٤؛ آدلر، ٢٠٠٥: ١٢٩). لقد نشأت أم القافر على حالة من ذلك الحرمان النفسي فقد فَقَدت أمّها وهي صغيرة، وقبل أن تفقد أمّها فَقَدت أباها الذي سافر إلى زنجبار وهي بنت في الثالثة من عمرها، ومات في البحر جرّاء عاصفة قوية ابتلعت السفينة بمن فيها (القاسمي، ٢٠٢٢: ٢٤).

بهذه الطفولة المتعثِّرة عاطفياً ونفسياً نشأت أم القافر، ونشأ معها ذلك الهاجس الذي كان ينتابها في أحلامها ثم ينتقل بعد ذلك إلى حياتها في الواقع: «في الأيام الأخيرة اختلف الحلم، صار هناك صوتٌ يناديها من بئر عميقة لا قرار لها، فترى نفسها تهبط بالحبل حتى قعر البئر وعندما تدخل رأسها في الماء تُشفى من الصداع. تسمع الهمس فيهدأ الضجيج في رأسها قليلاً فتستسلم له وتتبعه، هكذا يجري الأمر في كل حلم حتى تنزل إلى البئر فيتحول الهمس تدريجياً إلى أغنية تنبعث من صوت رقيق يأتي من الأعماق. في ظهيرة أحد الأيام... تدلَّت هابطة في البئر وإذ ثقل جسدها على الحبل أفلتت يديها وسقطت في الهوّة العميقة» (م.ن: ٢٥، ٢٦).

كانت مريم تجد في الماء الدواءَ، بل كانت تجد في مناغاتها ونجواها مع أمواج المياه السكونَ والاستقرارَ الذي تبتغيه وإن كان عابراً قصيرَ المدى. والتجربة الإنسانية تعزز الرؤية القائلة بأنَّ الاستماع إلى الماء بشكل خاص وإلى أصوات الطبيعة بشكل عام يبعث على الراحة واسترخاء الجسم وتسكين الألم ويقلل من التوتر والضغوط النفسية ويساعد على التركيز والقدرة على التأمل وعلاج التشتت الذهني (راجا، ٢٠١٩: ١٠٣). وفضلاً عن هذا فإنَّ للماء وعائلة القافر حديث ذو شجون وتاريخ طويل من التعايش العاطفي والترابط الروحي انتقل جيلاً بعد جيل. فالقافر نفسه ارتبط بالماء من قبل أن يولد، وتنبوءاته بمواقع المياه وليدة تلك العلقة الفطرية التي نشأ عليها. حتى الريف الذي عاش فيه ساعده على تنمية هذه الموهبة الفطرية. ولا يخفى «أنَّ الريف هو الأقرب إلى الطبيعة والفطرة، ومن ثم تكون الطبائع الإنسانية فيه بعيدة عن زيف المدينة والمدنية، ويكون إيقاع الزمن الهادئ حافزاً للتأمل» (عبد الله، ١٩٨٩: ١١٦).

لم يكن القافر، كما كانت عليه والدته، بمنأى عن تلك الأصوات الذهنية المتخيلة وذلك الصداع المفاجئ. فبينما «كان ذات مرّة ملتصقاً بالأرض مُنصتاً إلى صوت الماء في أعماق الصخرة اعتراه فجأةً صداعٌ شديد كاد يعمي عينيه من شدّته، فأغلقهما حتّى يزيح ذلك الألم الذي بدأ يعاني منه في الفترة الأخيرة، وصار يحتلّ كامل رأسه ويتنقّل فيه من جانبٍ إلى آخر» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٦٩، ١٧٠). وكأنَّ التجربة المريرة التي عاشتها أمه هي نفسها تتجدد في داخل القافر، فالحرمان العاطفي هو نفسه يعود إليه حين فقد أمه وهو في بطنها وحين مات أبوه تحت انقاض البئر وهو في حفلة زواجه: «دفن القافر أباه في صبيحة عرسه، وعاد حزيناً مكسوراً يملأ الفقد روحه. كان يعمل طوال الوقت لا حبّاً في العمل، بل ليكتشف

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

ذلك الصوت الذي يضجّ في جمجمته، فالخرير يتردّد في داخله ولا يسكت، وكأنه يناديه من أعماق الصخر حتّى يصل إليه فيحرره من سجنه» (م.ن: ١٤٩، ١٥٠).

وكما يتضح فإنَّ للبيئة أثر واضح في حياة القافر بشكل خاص وحياة عائلته بشكل عام، فنفسه قد تأثّرت أيما تأثير بتوترات البيئة وتغيّراتها المباغتة. ومن الطبيعي أن تترك الظروف السيكولوجية للبيئة آثاراً مماثلة في النفس الإنسانية. فالأوضاع الخطرة، سواء أكانت أخطاراً تهدد الجسم أم تهدد الروح تستثير تخيلات محمّلة بالعاطفة وتتفاقم في النفس بتكرارها في الطبيعة (يونغ، ١٩٩٤: ٥٥).

لقد عشق القافر خرير الماء ذلك الصوت الذي يجد في سماعه لذةً لا توصف على الرغم من عذاباته ومراراته التي تجرّعها طوال تجربته التنقيبية. كان يبوح للماء الذي يسمع رنين صداه في ذهنه وأُذنه بين الحين والآخر شجونَه وأحزانَه، وما إن ينبع من تحت الأرض حتّى يجد ضالته التي طالما بحث عنها ليبثها توقَه المستمر وحنينَه الدائم: «يا لهذا الخرير الذي يعذّبه، يكاد وهو ساجد في صلاته يسمع تلك النغمة فيَهيم كمن تذكّر معشوقه ففاض به الوجد، وكلّما استسلم للنعاس يرى الماء يجري في الصخرة شاقاً طريقه ناحية المنحدر، لا يفتح عينيه إلا ويسبقهما لحن موسيقى يفيض من جدران البيت ليجتاح أحلامه وصباحه» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٦٩).

لقد كان تفاعل القافر مع الماء تفاعلاً وجدانياً وعاطفياً، يتحاور معه ككائن حي، يبثه همومه ويتحدث معه لينفّس عن كرباته التي تكاد لا تنتهي. وحديث النفس مع الطبيعة إنما يحصل إثر غياب عاطفي إنساني ينجم عن فقدان الشخص لمن يستجيب له ويستمع إليه ويتفهّم شجونه ويصغي إلى أحاسيسه الصادقة. وهذا ما كان يُعانيه القافر على الصعيد الفردي والاجتماعي. وثمة عامل آخر جعل القافر يتعاطف مع الطبيعة وخاصة الماء تعاطفاً وثيق الصلة. فالظروف الطبيعية التي عاشها أثّرت على تشكيل منظومته الفكرية والوجدانية. ومن المعلوم أنَّ للبيئة الطبيعية دوراً مهماً في تشكيل شخصية الإنسان، والبيئة الجغرافية تؤثّر في طبيعة تفكير الفرد وخياله، وتشكّل جانباً من خلقه وطباعه (أستيتية، ٢٠١٢: ١٨٧؛ النعيمي، ٢٠١٥: ٧٢).

٢.٢ أصوات الحب والغرام

عندما يخفق قلب الإنسان في لحظة هيام صادقة وتحوم روحه حول مَن أحبَّ ولهاً وغراماً يتعالى في سمعه صوت لا يُقاس بمعايير وضعية وأدوات لاقطة من صنع البشر، بل يلتقطه سمعٌ ترسّخت جذوره في سويداء القلب وتناهت نفوذاً في شغاف الفؤاد. وكلما ازداد المحبُّ حرماناً ومعاناةً تمادى ذلك الصوت في قرارة النفس وأعماق الضمير. هكذا سمع القافر نداء قلبه وصوت حبِّهِ للمرة الأولى عندما التقى بتلك الفتاة التي أنسَتهُ آلامَ الضرب الذي تلقّاه من معلّمه: «كما ينفجر الماء من قلب الحجر، ويسري الينبوع منحدراً برقّته على الأرض العطشى، وكما كان القافر يطرب لخرير الماء في الأعماق، ناداه الحُبُّ. رآه في ابتسامتها عندما كانت تقف أمام داره، في نظراتها الحالمة وهي تحنو على الكدمات التي خلّفَتها ضرباتُ المعلّم فترفع

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

عنها الألم. ناداه الحُبُّ ليذهب إليها دون أن يُدركَ أنَّها هناك تنتظره في البلاد البعيدة. كان ساكناً يُنصت بقلبه إلى صوتها الشبيه بأغنية نسيتها الجنيّات في جنبات الدار» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٣٥).

إنَّها الفتاة (نصرا بنت رمضان) الوافدة من قرية (المسيلة)، حلَّت وعائلتها ضيفاً على بيت القافر لم يدم مكثها طويلاً، إلا أنَّ القلب تكفيه دقائق وثوانٍ عابرة كوميض البرق ليقع في شراك الحب دون خلاص. لقد وجد القافر في هذه الفتاة كل أحلامه ورؤاه، بل كل آماله ومُناه. أنسته جميع الأصوات التي خامرته وساورته من زمن طويل عندما ذهب مع والده إلى بيتها: «صار ضيفاً عليها كما كانت ضيفتَهُ ذات يوم، دخل المجلس مع والده وبدأ يُنصت إلى ينبوع يسيل متدفّقاً خجلاً في أعماقه، ينبوع ضئيل أنساه كل الأصوات من حوله. أصغى إلى وجيب قلبه فوجد كل شيء فيه معلَّقاً في ابتسامتها ووجهها» (م.ن: ١٤٠).

بهذه العبارة المعبّرة والرومانسية أطلق الروائي نداءات قلب القافر من معاقلها وربط الحبَّ بكل ما يحمل من معانٍ إنسانية نبيلة وفطرية بالماء وكأنَّ كل شيء نابض بالحياة يرتبط بالماء وينساب حنواً وعطفاً كما ينساب الماء في جداوله عطاءً وخيراً. ولا غرو فإنَّ للماء الدور الأكبر في النماء. ففي خصائص الماء الفريدة «تتجلّى وحدة الكون مع الكائنات الأرضية، حتّى كأنَّ تصميمنا البيولوجي هو هدف مركزي من أهدافه. الماء بخصائصه ومزاياه التي لا مثيل لها يغني أغنية من الحياة على الأرض، أغنية من الحياة للوجود البشري. فقد تم ضبط خصائصه بدقة متناهية لتناسب حياتنا منذ لحظة الخلق، وملاءمتها العجيبة لوجودنا منقوشة منذ زمن بعيد في النظام الكوني» (دنتون، ٢٠٢١: ٢٢٩، ٢٣٠).

ولم يكتف الروائي بنقل همسات القافر اللامسموعة، بل راح يفصح عنها بكلام مسموع يزيد حبَّه أضعافاً مضاعفة، ويكرّس غرامه الذي ما فتئ في الظهور بعد ردح من الضمور. بدأ القافر عمله وانطلق «يمشي مع الوادي وهو يُنصت إلى وقع خطواته على الحصى. نكس رأسه حتّى كاد يلمس الأرض، أنصت فجاءت دقّات قلبها لتملأ عليه المكان... أغمض عينيه فرآها، كانت هناك صباحاً أمام باب البيت تنظر إليه وتبتسم، قالت له: (صباح الخير) فسمع أهازيج أعياد وفرح تترقرق في صوتها، ولم يسمع خرير الماء» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٤١).

إنَّه صوت الحب الذي تحوّل من خفقات مهموسة إلى أصداء ملموسة إلا أنَّ طبيعة العيش ونمط الحياة وظروف الشخص تحول دون الإفصاح عن خبايا القلب ونوايا النفس الطاهرة. أحسَّ القافر بصوت حنان دافئ اعتاد سماعه من أمّه في الأحلام. وكم آثر أن يتحقق هذا الحلم ليسمع ذلك الصوت الملائكي حقيقةً على أرض الواقع. وفي صباح أحد الأيام جلس القافر باحثاً عن صوتها، عن ذلك «النداء الذي كان يأتيه من عروق الأرض، عن الأم التي رحلت. في الآونة الأخيرة صارت تتردّد عليه في الحلم، وهو ذات الصوت الذي اعتاد سماعه، لكنه كان يخرج من شفتي فتاة تبتسم» (م.ن: ١٤٢).

لقد أجاد الروائي في حبكته الفنية هذه بأن يمازج الخيال بالواقع ويربط الحلم بالحقيقة ويعبّر عن المكنون صراحةً دون أن يُقحم النص السردي بمؤثّرات تُفرض خارج إطار التسلسل الروائي. فقد حافظ النص على انسيابيته المعهودة وبساطته المشهودة لغةً ومحتوى، وهي بصمة القاص التي لم تغب في حال من الأحوال عن مجريات الحدث الروائي وهيكلية السرد الفني. ولعل

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

ميزة التوازن من أهم الخصوصيات التي امتاز بها الروائي في أسلوبه، وكما هو معروف في أسباب النجاح وجمالية الأسلوب «ألا يسمح الأديب لصفة بالحياة على فناء الأخرى، بل لا بد من توفيرها جميعاً، وحفظ التوازن بينها بدرجة تجعل الأسلوب قائماً بواجبه خير قيام، وذلك لا يكلف الأديب أكثر من يقظة نفسية، وبراعة أسلوبية، وصدق في الأداء» (الشايب، ١٩٩١: ٢٠٣).

وتتجلّى هذه الخصوصية الفريدة في أماكن شتّى من الرواية عندما يوائم القاص وبحرفية متقنة أصوات الطبيعة بأصوات البشر، وهي مواءمة موفّقة إلى أبعد حدود التوفيق؛ لكونها مرتبطة بمفاهيم إنسانية رفيعة، لا تأتي للتنميق والمماثلة، بل تأتي لتدل على معنى نبيل سام من جهة، وتثبت النبوغ الفذ لبطل القصة في تحليل الأصوات الوافدة من جهة أخرى. يقول الروائي في وصف تلك الأصوات: كل صباح يستمتع بالأصوات من حوله، «زقزقة العصافير وهي تنتقل من شجرة إلى أخرى، حفيف أوراق الشجر، وهمهمات تأتي من خلف جدار. كانت تلك الأصوات تنجذب إلى أذنيه من كل صوب، وكان يطيب له أن يحلّلها ويُرجعها إلى مكوّناتها الأولى، وكلّما وصله صوت غريب داخله الفضول، وشرع يتخيّل من يكون وراءه. يسحبه ذلك العالم الحسيّ، عالم الأصوات المتداخلة إلى عمقه اللّذيذ، فيشعر بذاته تخرج وتسافر في كل مكان بحثاً عن الصوت، حتّى صار يدرك تماماً ماهية الأصوات التي يجمعها» (القاسمي، ٢٠٢٢: ٧٩).

ومن جميل صُنع الروائي أنّه صوّر الكائنات غير البشرية وحضورها الفاعل في الطبيعة على أنّها موجودات ذات إحساس، تُشبه الإنسان في عملها الوظيفي في الحياة، وتشاركه المسؤولية وفقاً لمتطلبات العيش المشترك. وكثيراً ما يتجلّى في رواية القاسمي هذا التعامل الطبيعي بين الإنسان وسائر الموجودات، وخاصة عندما يندمج القافر مع الطبيعة ويُصغي إلى عمقها المتغوّر: «نكس الفتى رأسه إلى الأمام وأحنى ظهره كمن يخاتل طريدةً، وبدأ يخطو خطوات بطيئة ذاهباً إلى عمق القناة. أصغى للأعماق، سمع وجيب قلبه يدقّ، سمع صراصير الأرض تعزف لحنها الأبدي، سمع همساً، وسمع دبيب نملة تتسلّق صخرةً ملساء، وصوت فأر يقرض ورقة، سمع الأصوات تأتي من بعيد حتّى كاد يسمع هواجس البشر من حوله» (م.ن: ١٣٠).

٢.٣ أصوات البؤس والحرمان

تعرض الروايةُ سلسلةً متتاليةً من المشاهد المؤلمة والأحداث المروعة عبر أصداء وأصوات تقطر حزناً وأسى. وهذا لا يعني أنَّ القصة من أولها إلى آخرها مسلسل درامي مأساوي، بل هي بطابعها العام تصوير واقعي لحياة قرية تعيش على ميراث طويل من العزلة، بينها وبين المدينة هوّة ساحقة يطغى عليها طابع الاستعداء والاستعلاء. هذا التمايز الممض جعل أبناء القرية يعيشون حالةً من الحرمان المستمر، ينتظرون جود السماء وقطر المطر لينعموا قليلاً بما تحصده يدهم من قوت وزرع.

وإذا ما حلّلنا النص تحليلاً سوسيولوجياً فسنرى طابع البؤس في الرواية طابعاً عاماً يتجلّى في مشاهد مختلفة. فنجد مثلاً طابع البؤس الذي غمر حياة (كاذية بنت غانم) المرأة التي تبنَّت القافر وهي نفسها التي شقَّت بطن الغريقة أم القافر لتُخرج الجنين حيّاً قبل فوات الأوان، يظهر في صور مأساوية عدَّة يتخللها صوت يرمز لمعاناة وحرمان وأسى، صوت طبل بتاريخ

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

مخيف: «عندما كانت كاذية بنت غانم في الخامسة من عمرها هجر أبوها البيت وخرج هائماً في الوديان والقرى، يحمل طبلاً معلّقاً على كتفه ويضرب عليه بعصا غليظة، الطبل الذي عاش والد كاذية طفولته وهو يحملق فيه ويرقبه دون أن يقترب منه يوماً؛ لأنَّ والده حذّره منه... وفي صباح يوم تناول غانم الطبل من مكانه وأمسك بعصاه وخرج من بيته بلا رجعة. اختفى الأب فلم يَعُد يُسمع عنه شيء، فلم يعثروا عليه ولا على الطبل، وتكاثرت الحكايات عنه كما يتكاثر النمل الأحمر على حبّة التمر» (م.ن: ٧٧).

ويصبح الطبل بصوته المحبوس المزمجر حكواتياً يسرد تاريخاً حافلاً بألوان الخوف والقلق والابتئاس. ورمزية الطبل تكمن في صوته المهول المفزع، المعبّر عن تعاسة مستديمة تستدعي صوراً من الماضي القديم يحمل في طياته ما ليس بمحبّب ومؤنس. فالرمز هنا وسيلة للتعبير عن زوايا غامضة في النفس لا تقوى اللغة أن تعرب عنها، فهو بجوهره إيحائي «لا يقف على قِدَم الأشياء المادية ليصوّرها، بل يتعدّاها لينقل التأثير الذي تتركه هذه الأشياء في النفس بعد أن يلتقطها الحس» (كرم، ١٩٤٩: ١٢). وهكذا كان الطبل بسكوته ونطقه مدعاة للأثر الذي أفرزه الحرمان المقيت.

ولم تكن حياة القافر نفسها هي الأخرى بمنأى عن زوابع الحرمان وشواظه، حتّى حبّه العذري العفيف لم يخلُ من هواجس ذلك الحرمان البغيض وآثاره النفسية العميقة. وتصف الرواية حرمان القافر العاطفي قائلةً: «رفرف قلبه في داخله مثل عصفور شعر بحلاوة الطيران، لكنَّ القفص الذي سُجن فيه منعَهُ من ذلك، رفرف بشدّة حتّى كاد جناحاه ينكسران، وانتفش بعضُ ريشه» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٤٣).

والحرمان العاطفي من أقوى الضربات النفسية التي تهز شخصية الفرد وتنال من ذاته المستقلة ولها مردود سوسيولوجي ينعكس على مجتمع الفرد وبيئته. وهذا النوع من الحرمان يؤدي إلى الضياع الاجتماعي ويؤثّر في الفرد مدة طويلة فتنعكس سلباً على حياته الشخصية والاجتماعية (العيسوي، ١٩٨٥: ١٥). واتضح هذا الحرمان أكثر فأكثر في شخصية القافر عندما فقد والده بتلك الحالة المفجعة. وقد انعكس هذا الحرمان أيضاً على نبوغه الصوتي فلم يعد يأبه بموهبته الفذة: «أغلق أذنيه عن كل صوت، فلم يعد يستمع إلى الهمس الذي كان يستطيع سماعه من خلف الجدران، ولا إلى رفرفة الفراشات والعصافير في الحقول البعيدة، أغلق أذنيه على الأصوات، سجنها في أعماق الصمت وبدا للآخرين كأنه أُصيب بالصمم» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٥٠).

ويبدو أنَّ الحرمان والابتئاس مسكون في أسرة القافر، فها هو (عبد الله) والد سالم قد ذاق ويلات الحرمان مرات ومرات كان آخرها وقوع زوجته (مريم) في البئر وموتها غرقاً. وقد وقع هذا الحادث في قلب والد القافر أشد الوقع ما جعله يهيم على وجهه ولا ينقطع عن البكاء. وترسم الرواية من خلال توظيف الأصوات والأصداء حرمانَ الوالد قائلة: «في تلك الأيّام كان يسمع السماء كلَّ ليلة وهي تبكي بدلاً منه، أما هو فغرق في موج من الأصوات المتداخلة، وعندما توقّفت السماء عن انهمارها وصمتت عن البكاء، أدرك ما حدث فبدأ بالنواح في صوت مكتوم. وبعد مدّة استجمع قوّته وكفكف دموعه وذهب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

إلى بيت كاذية بنت غانم، وجلس بجوارها يبكي مثل طفل ضائع فقد أمّه لتوّه. ولمّا أتعبه البكاء همَّ بالخروج، وقد قرّر المشي بين الجبال لعلَّ تلك الصخرة التي سقطت على قلبه تنزاح قليلاً» (م.ن: ٣٩).

والمطالع للرواية يقف على سلسلة من الأنغام الحزينة والأصوات المتناوبة أسىً وألماً وهي تتعالى في مشاهد عدَّة متخذةً من نبراتها الماحقة إشارات ورموزاً تدل على تفشي ظاهرة الحرمان في البيئة الريفية، وانتشار حالة البؤس والشقاء بين أفراد القرية الذين عانوا حياة الشظف والنكد بشتّى ألوانه وأعتى أنواعه. وقد ظهرت هذه الأصوات الموظَّفة سردياً في حالة من التناغم والتتابع الممنهج. فهي موجودة في معظم مشاهد الرواية، وقد تغيب لغياب المناسبة أو لضرورة فنية ترتبط بالنسيج العام للقصة، أو لأسباب لم يشأ الروائي البوح بها أو الإشارة إليها ضمنياً. ومهما يكن من أمر فإنَّ الهدف من توظيف هذه الأصوات المؤلمة في ثنايا النص قد تحقّق بالفعل، وتجلّى بأوضح صوره ومشاهده. فانعكاس الواقع هدف أسمى للرواية وقد اتضح للقارئ من خلال التصوير الحسي للأحداث. وقيمة العمل الأدبي في تجلياته الواقعية انما يتم عبر التوافق بين الفن والطبيعة وجعله كتلةً واحدةً (فضل، ١٩٨٠: ١١٥).

٢.٤ أصوات الجرح والتأنيب

يلتقي الإنسان طوال حياته من خلال تعامله الاجتماعي بطائفة كبيرة من الناس تختلف مذاهبهم الفكرية وتتفاوت أساليب تعاملهم حسب المستوى الثقافي والمعرفي لكل منهم. ويحدث هذا في الغالب في المدينة حيث تتنوع الأهواء والمشارب وتتعدد الثقافات والمذاهب. أما القرية ذات النطاق الجغرافي المحدود والدائرة الثقافية الضيقة فتختلف تماماً عمّا في المدينة من تقبّل ديموغرافي واسع. فالقرية بكل ما تحمل من موروث قيمي تقليدي ونمطية ثابتة في التعامل الاجتماعي لا تستطيع أن تتفهّم الآخر بوعي وانفتاح بسبب الذهنية التي نشأت عليها وترسّخت في ذاتها اللاشعوري. وكثيراً ما تتجلّى البيئة الشعبية عبر حكايات خيالية تتغلغل في الوعي الشعبي وتهيمن على قناعاته فتترك فيه أثراً سلبياً. ومعظم تلك الحكايات هي التي تتعلق بأسباب معيشية بحتة (حطّيني، ٢٠١٦: ١٩١). فالمجتمع القروي بسلوكه غير السوي المنغرز في عدم الوعي لدى غالبية أفراده والمتوارث عبر الأجيال لم يعد قادراً على التمييز بين الصحيح والخاطئ من تصرفاته؛ لأنه بات أسيراً للنمط السائد في المجتمع (الربيعي، ٢٠٠٧: ٥٠).

من هنا بات كل شيء لا يُحاكي الطابع الثقافي العام نشوزاً عرفياً وتحدياً يُواجَه بردة فعل عنيفة من قبل عامة الناس. وبناءً على التحليل السوسيولوجي فإنَّ عدم التقبّل من قبل الجماعة ذات العقلية المحدودة يؤدي إلى العزلة والانفصام الاجتماعي في البيئة المنغلقة. وثمة عوامل لمغايرة الأفراد لمعايير الجماعة منها تفرّد الشخص بخصوصيات شخصية تجعله متمايزاً عن الآخرين مخالفاً للسائد من الأعراف الموروثة (زهران، ١٩٨٤: ١٢٣). ورواية «تغريبة القافر» العُمانية بشجونها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية صورة حيّة لذلك النسيج المتعدد الأطياف، وهي عمل أدبي مميّز يمثّل الإنجاز المعرفي بكامل أبعاده

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

وتشعباته. والرواية العُمانية حالها كحال أي منجز ثقافي تتشابك فيها مؤثّرات الثقافة والاجتماع والاقتصاد وتظهر فيه مترابطة أشد الترابط والتآزر والتلاحم (المعمري، ٢٠١٨: ١٨٤).

ومن منطلق التفاوت الاجتماعي والفارق السوسيولوجي نجد بطل القصة متمايزاً في سيرته وأعماله. فقد كان (القافر) ومنذ الصغر متمايزاً عن الآخرين بتنبؤاته العجيبة وتصرفاته الغريبة وسماعه الأصوات البعيدة المختلفة التي لا تصل إلى آذان الناس وأسماعهم. ومن منظور نفسي فإنَّ سماع أصوات خاصة لا يسمعها الناس لدليل على تفاعل النفس معها. فالصوت «لا يلقى أي عائق حين يرسل في العالم من حيث يتولد إنفعالاً بالنفس محضاً، ودون أدنى شك فهذا الانفعال بالنفس هو إمكان ما نسميه الذاتية» (دريدا، ٢٠٠٥: ١٣٠). وقد تميّز القافر بهذه الذاتية عن غيره من أبناء مجتمعه، فأصبح غريباً ومنبوذاً في بادئ الأمر وخاف عليه والده من أن يعلم الناس سرَّه: كان عبد الله والد القافر «خائفاً من أن يعلم الناس بحالة سالم، ولكنهم عرفوا. وانتشر الخبر، انتشر كما الحريق يبدأ من شرارة في كومة ليف ثم تأخذ نسمة هواء خفيفة الشرار إلى الأشجار والمزروعات الأخرى، وفي لحظة قصيرة من الزمن يتوهّج المكان ولا تُبقي النار ولا تذر. (وَلد عبد الله بن جميّل يسمع شيئاً في باطن الأرض). استعاد الناس حادثة أمّه وقالوا إنَّ سكّان البئر في العالم السفلي أخذوا جنينها ووضعوا أحد أبنائهم بدلاً منه. وهناك من اتهمه بالسحر، فقال سيكبر وسيسحر الكبير قبل الصغير. وكانت تلك الأحاديث كافية ليبتعد الناس عنه» (القاسمي، ٢٠٢٢: ٧٢، ٧٣).

وكما هو واضح فإنَّ كثيراً من الخرافات المبنية أساساً على علاقة الإنسان بكائنات خفية من مثل الجن والعفاريت التي تسكن الأرض السفلى نهاراً لتخرج منها ليلاً لتعيث في الأرض فساداً وغوايةً، تلعب دوراً بارزاً في السيطرة على خيال الجماعة وخاصة الجمهور المسكون في سذاجته وبساطة تفكيره. والتأثير الجماعي وانصياع العامة لجملة من الأوهام المتوارثة حسب التحليل السوسيولوجي انما ينشأ لانعدام الرؤية الواقعية للحياة والامتثال الأعمى للأعراف السائدة. وتُستخدم هذه الأعراف والخرافات في كثير من الحالات لتبرير ما يود الإنسان التستر عليه من عيب أو تقصير بزعم الوقوع تحت تأثير الجن، مما يساعده على الحفاظ على سمعته. فالمرء في هذه الحالة مجرد ضحية، ولا يملك من أمره شيئاً. فهو أمام مجتمع يمارس أقصى درجات القهر والإدانة ويفرض أقصى حالات الجهل على بنيه من خلال الترهيب النفسي والتمسك بعادات وتقاليد بائدة (حجازي، ٢٠٠٥: ١٤٧).

لقد أثّرت معاملة الناس الجافية للقافر في شخصه وذاته فكانت كلماتهم النابية تؤذيه في الصميم وتثير فيه إحساساً مؤلماً وممضاً. فحاول أن يبتعد عن موهبته هذه تماشياً مع أهواء الناس وعاداتهم القديمة: «لم يعد سالم ينصت إلى خرير المياه الجوفية إذ أدرك أنَّ ذلك ما يخيف الناس منه، فكفّ عن ممارسة هوايته ظاهراً. قد يكتشف صوتاً غريباً ويبدأ لعبته المحبَّبة. وعندئذ يعمُّ الصمت فجأةً وتخبو كل الأصوات من حوله وتتجمّد الأشياء وتصمت ولا يتبقى سوى ذلك الصوت الضئيل الغريب قادماً إليه من أماكنه البيضاء الخافية. فهم سالم أنَّ معاملة الناس له بكراهية وإجحاف ليست سوى إقرار بتميّزه في معرفة الأصوات من حوله، إذ كان يسمع حتّى دبيب النمل وهو يتسلّق جذوع الأشجار» (القاسمي، ٢٠٢٢: ٧٩، ٨٠). وهذا

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

يعني أنَّ الناس لم يكونوا يهابون القافرَ خوفاً على أنفسهم، بل حسداً واستياءً من ملكات هذا الطفل النابغة الذي فرض شخصيته على كل صغير وكبير في القرية.

ظلّت أصوات التأنيب والتجريح تطارد الفتى حتّى بعد أن بلغ أشدّه وتزوّج. فكانت زوجته تنوء تحت عبء كلام الناس الجارح. حاولت زوجة القافر «أن تثنيه عن عمله لعلّها تُوقف هدير ذلك الوادي الجارف من الكلام، كلام أهل القرية الذي تشعر به كالشوك يخزّ جسمها. ها هم يتهمونه بالجنون، وينعتونه بنعوت كثيرة، سمعتها كلها في يوم واحد بأصوات وهيئات ومواضع مختلفة، أصوات شامتة وأخرى غير مصدّقة، أصوات ناصحة وأخرى تتلذّذ بتعذيبها. تمنّت أن تبتلعها الأرض وتغور بها، أو تعيش في مكان آخر» (م.ن: ١٦٣، ١٦٤).

هذه الأصوات الجارحة التي أتقن الروائي استخدامها لتصوير الواقع المأزوم لحياة القافر وزوجه وهما يحترقان في أتونه، هي أصوات لا تغيب يوماً في مجتمع أطبق على فطنته السليمة وترك عقله في قبضة الجهل ومكالب الحسد. فالفرد في مثل هذا المجتمع المتآكل من الصميم والمهترئ ثقافياً وفكرياً كيف يقوى على فهم الآخر بمنطق العقل ورجاحة الفكر السليم؟ فهو لم يُعَد لكي يبني إنساناً يحترم أخيه الإنسان دون أن يطاله بلسانه اللاذع وبتصرفاته التي تقطر حقداً وحسداً.

ولعلّنا نجد في الإجابة التي صرّح بها القافر لزوجته في تعليل هذه الظاهرة المقيتة عند الناس تحليلاً سوسيولوجياً إذ وقف على أصل المعضلة وجوهر المشكلة: «أخبرها القافر بأنَّ أهل قريته يستقوون على الضعيف، يشمتون بمصائب المساكين، لكن لو حدث ما حدث في أحد بيوت شيوخهم وسادَتِهم لما نبسوا بكلمة، فهناك يغدو العيب حكمةً والجنون فطنةً ورجاحةً، فالأعمى من أصحاب الجاه بصير بمكانته، والجبان قويّ بماله أو بانتمائه لبيت يعصمه، أمّا الفقراء الذين لا يجدون ظهراً يحميهم ولا مالاً يرفع من شأنهم فيكونون عرضةً لألسنة الناس ولتجريحهم في كل بقعة» (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٦٥).

هذا الاستقواء الذي يشير إليه القافر في حديثه المقتضب مع زوجته هو أساس البلية التي تُعاني منها جميع الشعوب المقهورة الخاضعة تحت سلطة القوي المتجبّر. وليست هذه القضية هي معضلة اليوم أو الأمس، بل هي وليدة الفكر السلطوي المهيمن القاضي بإخضاع الرعية لمصالح الشخص القوي ومنافعه التي لا تنقضي. فكيف يصلح مجتمعٌ تسامى القوي على الضعيف، ويكون القوي فوق القوانين ويكون الآخرون تابعين لهواه؟ فالسعادة بمفهومها العام لا تتحقق إلا بوجود مصلحة واحدة للسيد والشعب على حد سواء، ولا سلطة إلا لسلطة المجتمع (روسو، ٢٠١٢: ١٤).

يحاول الراوي من منطلق التحليل السوسيولوجي استعراض هذه المعضلة الاجتماعية وبثّها في المحتوى الروائي ليُشعر المتلقي بضرورة الانتفاض على سياسة الاستعباد الموروثة وتطهير ذهنية المجتمع من شوائب الهيمنة وأخطار التبعية الفكرية وما يترتب عليها من أحكام جائرة تنال من الإنسان ومن مكانته الاجتماعية. فالقارئ يعيش «فيض تعاطف إنساني هادئ ومتموّج وجارف وفق حالات صعود ونزول إيقاع الرواية الناسج للأحداث وتطورات الشخصيات، في تقدير وإعلاء لقيمة الإنسان مهما كان وضعه الاجتماعي والاقتصادي، بانحياز واضح إلى المهمشين والمظلومين والفقراء، ورفع مكانتهم إلى صنّاع للحياة رغم سرقة حياتهم من المحتالين الظالمين الفاسدين» (الشيخ عطية، ٢٠٢٣: ٢٠).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

هذه الالتفاتة الجوهرية التي قام بها السارد في سَوق روايته إلى تنبّهات فكرية وتأملات فلسفية ترتبط بمعاناة الإنسان المقهور والمهدور حقّه التفاتة قيمة على الصعيدين الفكري والفني. فعلى الصعيد الفكري أثار قضيةً في غاية الخطورة لا تزال قائمةً إلى اليوم على الرغم من رقي الإنسان بمستواه الحضاري والثقافي والعلمي، ألا وهي قضية الإنسان كإنسان لا أداة تطوعية تمتثل إرادة القوي. أمّا على الصعيد الفني فقد وظّف الروائي العملَ الأدبيَّ لصالح المجتمع فهو بذلك حسب الرؤية السوسيولوجية الحديثة أعاد الاهتمام بالأدب لارتباطه بالأرضية التاريخية التي ينشأ عليها والدعامة الثقافية التي يستند إليها. ومن هذا المنطلق تفسّر الظاهرة الأدبية على أساس قواعدها السياسية والاقتصادية والاجتماعية (يسين، ١٩٩٢: ٢١، ٢٢؛ ليندارو، ١٩٩٦: ٩٥). فلذا واكبت رواية "تغريبة القافر" بتناولها واقع الحياة وتعقيداتها الاجتماعية مسيرة السردانية العربية التي اصرّت على تغيير نمطية السرد من السطحي إلى التكثيف الواقعي. وقد اعتبر النقّاد عبر هذه المعرفة السوسيولوجية «أنَّ الرواية العربية في تجلياتها الرفيعة قد بلغت من الفكر درجة رفيعة هو الفكر الأدبي أو الجمالي. وهذا الفكر هو الذي غيّر البنية الروائية في أسلوب السرد الوصفي الميكانيكي للعواطف السطحية إلى أسلوب التركيب الذي يستوعب تعقيد الحياة وكثافة أعماقها» (شكري، ١٩٩٤: ٥٤، ٥٥).

وهنا تكمن قيمة الأعمال الأدبية وخاصةً القصص والروايات في استرعاء الانتباه للقيم الإنسانية المثلى، واستدعاء الفن والأدب ليمثل مُصلحاً اجتماعياً يقوم بدور التربوي الذي يهمّه الناس ويتفانى من أجل الصالح العام ومن أجل بناء جيل يقوم على أساس الأخوّة وتبنّي المصلحة المشتركة إيماناً بأصل ترقية المجتمع من خلال ترقية الفرد. والرواية تصوّر (القافر) بطل القصة بأبعاده الثلاثية: الفردية والاجتماعية والإنسانية. فعلى الصعيد الفردي كانت موهبته الذاتية باكتشاف الماء تطغى على عامة أبناء مجتمعه، أما الجانب الاجتماعي فقد برز من خلال قيام القافر بمساعدة الناس على الرغم من كل الجفاء الذي طاله منهم، ويبقى الجانب الإنساني بارزاً بأوضح صوره عندما غادر القافر موطنه وترك زوجته ليقدّم العون لأناس في قرية بعيدة نائية كادت مساعدته هذه تذهب بحياته. ومن الواضح أنَّ هذه الأبعاد الثلاثة أساسية كلها لنضج الإنسان ونمائه (فروم، ٢٠٠٩: ٨٠).

ومثل هذه المثُل الرفيعة نجدها مبثوثة في ثنايا "تغريبة القافر" بشكل محسوس وغير محسوس. فقد حرص الروائي أن يجعل روايته مرآةً تعكس خبايا المجتمع كما هو دون تزويق وتنميق، متخذاً من المذهب الواقعي وسيلة لعرض إشكالات المجتمع الذي لم ينهض من تحت أنقاض تقاليده الموروثة، وما زال يقبع تحت وطأة أوهام لا تجدر بإنسان شاء الله أن يجعله مكرّماً بالعقل حاملاً لقيم الخير والصلاح.

٢.٥ أصوات الأمل والحياة

في رواية القاسمي أصوات لا تكاد تطغى على المشهد العام للسرد القصصي، بل تتموضع في أماكن متفرقة هنا وهناك لتمنح القصة زخماً وطاقةً للتواصل والاستمرار. هذه الأصوات هي الأصوات التي تبعث الأمل وتهب الحياة وتشحذ العزم وتجدّد

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

القوى التي اضمحلت في صراع الإنسان مع الواقع المرير الذي يعيشه. وفي أكثر من مناسبة يعمد الروائي إلى إقامة موازنة منطقية بين أحداث القصة المشبعة حزناً وأسىً وبين تلك المتفائلة بالخير وتحسين الأمور. هذه المواءمة المتقنة التي تجسّدت عبر قراءة سوسيولوجية دقيقة تأتي لتُعيد الإنسان الغارق في خضم مشكلاته إلى مستوى من التأمّل والتفكير في ماضيه المثقل بالآلام والعادات المزرية، وحاضره البائس المتهاوي ومستقبله المنشود المجهول.

وتتجلّى براعة الكاتب في استذواق معنى الحياة وتتبع بصيص الأمل من مشاهد تفضي طبيعتها الموضوعية إلى مزيد من الحزن وأضعاف من الألم المرير. ففي أولى المشاهد الدرامية والمأساوية للرواية تُنتشل جثّة الغريقة (أم القافر) من البئر في جو عارم من الوجوم والاهتزاز الروحي والعاطفي لترسل إلى المغتسل فتكون المفاجئة. يتعالى صوت قوي يخرق أسماع الجميع: في بطنها حياة.. في بطنها حياة.. جنين يتحرك في بطنها (القاسمي، ٢٠٢٢: ١٣). إنَّه صوت الحياة المنبعث من جثمان الموت. ومثل أي موقف يتضارب فيه العقل والأعراف التقليدية يحتدم نزاع بين الحاضرين في دفن المتوفاة مع الجنين أو دونه، فيزداد اللغط والهرج، إلا أنَّ (كاذية بنت غانم) لم تمهل أحداً فسحبت سكيناً من حزام أحد الحاضرين فشقّت بطن الغريقة وأخرجت الطفل فسمع الجميع بكاءه. وعندما انتبه الناس إلى بكاء الرضيع التفتوا إلى مصدر الصوت مندهشين، فابتسمت (كاذية) في وجوههم وسط الفجيعة وردّدت وقد ملأت الدموع عينيها: «محلاه... صلاة محمّد السلام... يُخرج الحيّ من الميّت، يُخرج الحيّ من الميّت، يُخرج الحيّ من الميّت» (م.ن: ١٥). والمشهد الحاصل من تفاقم الصراع بين الوعي واللاوعي حسب التحليل السوسيولوجي الحديث يفصح عن نفسه هنا بأوضح الصور وأدقّها.

وأمام هذا النص المتصاعد حركةً وتوثّباً يقف المطالع عند سلسلة من المواءمات الدقيقة والمفاهيم المنسجمة التي جاءت بعفوية صادقة لا يتسرب إليها تكلّف مصطنع. كمواءمة بكاء الحضور وبكاء الرضيع، أو تماثل البسمة وسط الفجيعة، وكذلك خروج الحيّ من الميّت. حتّى نزاع العقل والجهل جاء في محلّه عندما أفضى إلى غلبة سلطان الوعي المشرق على ظلمة الجهل الخرافي. فهذه الصور المنسجمة بمعانيها الموحية ودلالاتها السوسيولوجية تعزّز اهتمام الروائي بمنظومة الحياة التي يجب أن تتجسّد على أرض الواقع على الرغم من تفاقم المصائب والويلات.

وكما مرّ فقد شاهدنا قبل ذلك انبثاق روح الأمل والحياة بعد تعامل فضّ موجع عندما عاد القافر إلى البيت ليرى تلك الفتاة السمراء التي كانت تنظر إليه بحنان. فأين ذلك الحنان المنعش من ضربات المعلّم القاسية وجفائه المستمر: «كانت هدية الله، أرسلها إليه من السماء حتّى يُنسيه آثار الضرب. يا لها من هدية، فتاة تعادله في الطول أو هو أطول منها قليلاً. لم تؤذه بنظرة مترددة قلقة، بل ضلَّ وجهها زهرة بريّة تفتّحت للتوّ وقد نشرت شذاها في المكان» (م.ن: ٨٢). بهذا المقطع المفعم بالحياة والذي حلَّ بعد معاناة وشقاء يثير الروائي معنى إنسانياً فذاً، مفاده أنَّ الحبَّ المنبثق عن عاطفة صادقة وإحساس قلبي عميق يفعل المستحيل ويغيّر الحال مهما تفاقم سوءاً ورداءةً. فالتجارب الإنسانية أثبتت أنَّ مفعول المودة والتحابب يُعيد الإنسان إلى فطرته السليمة وذاته المجبولة على التوادد والمحبة. فالحب الناشئ عن معرفة حقيقية يثير الأمل والفرح والحياة، وبالتالي يصل الإنسان إلى ما هو خير وصلاح وكمال (ديكارت، ١٩٩٣: ٨٤).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

ولا يزال الروائي في مقاطع شتّى من روايته يُزاوج بين الموت والحياة وبين اليأس والأمل ويترك فضاءً مشرقاً وإن كان قليل الإضاءة لتلك العتمة التي يعيشها الإنسان الريفي في صراعه مع الطبيعة. وهو بنسقه السردي وتجربته السوسيولوجية يؤكّد حقيقةً تاريخيةً استلّها من واقع الحياة وتجارب الإنسان على مرّ التاريخ تفيد بأنَّ الحياة مهما طال بها الجفاء والعناء فإنَّه يسري في صميمها ينبوع العيش والبقاء وإن تضاءل وضعف: «مرَّت الأعوام من دون أن يخطر ببال أحد أنَّ الماء الذي كان يجري منحدراً مع الوادي سيغور ويختفي، والسهولَ الممتدّة المكسوّة بالشجر والأعشاب ستصفرّ وتيبس ثمّ تموت، وضواحي الحبوب التي ملأت السيوح والضفاف ستبقى خبراً بعد أثر. امتدّ المحلُ إلى كلّ البقاع، لم يُبق بلاداً ولا قريةً قريبةً أو بعيدةً على حالها... لم يبق في القرية إلا نبعُ ماء ضئيل يسيل من صخرة صمّاء مُنسكباً في حوض صغير في مزرعة» (القاسمي، ٢٠٢٢: ٩٨ - ١٠٠).

واللافت أنَّ هذا النهج المستديم في البنية السردية للرواية لم يغب عن تفاصيلها وتضاعيفها في أيٍّ من مقاطعها الرئيسة، ما جعل العمل الأدبي متماسك البنية، منطقي التسلسل، منتظم الأفكار يسير وفق رؤية موضوعية واضحة المعالم ومنسجمة المحتوى. فالتناسق سمة تظهر عياناً للقارئ، حتّى التناغم بين الطبيعة بأصواتها المتعددة وأحداث الرواية لم يخفت وهجه في حال من الأحوال. والطريف أنَّ الروائي أشار إلى بلوغ القافر في نهاية أمره مرحلةَ التناغم بين الحركة والصوت: «صار يُنصت إلى الأصوات الآتية من كلّ الجهات، ليتعرّف عليها صوتاً تلو آخر، فيتمهّل في مشيه حيناً ويُسرع تارةً أخرى، كأنَّه بلغ مرحلةَ تناغم الحركة مع الصوت» (م.ن: ١٧٦). وعلى الرغم من كثرة الأصوات التي كانت تغزو ذهن القافر وتعدد مصادرها فإنَّ تجربته القيّمة التي اكتسبها في الحياة كانت خير عون له في حلّ ما استعصى من المشكلات. فقد بلغ يقيناً أنَّ وراء المحن والمصاعب والويلات ثمة بارقة أمل تأخذ بيد الإنسان المتفائل إلى شاطئ الأمان وهو في ذروة النكبات وأصعب الحالات.

نجد هذا المعنى الرائع في خاتمة الرواية عندما يُحبس القافر تحت أطباق الثرى باحثاً عن منفذ ينطلق منه إلى الحياة: «كانت الأصوات تتداخل في رأسه؛ أصواتٌ قديمة، أصواتُ رجالٍ عَملَ معهم في حفر قنوات الأفلاج، أصواتُ عصافيرَ وبلابلَ وأطفال، أصواتُ وديان جارفة قادمة من قمم الجبال، أصوات بكاء مختلط بضحك غريب، أصوات تناديه، أصوات تهمس باسمه، أصواتٌ كثيرة تداخلت فجعلت عينيه تتوقفان في محجريهما ولا تتحركان مطلقاً... تحوّل جسدُه كلُّه إلى يَدَين لا همَّ لهما إلا ضرب ذلك الجبل الجاثم أمامه كأنّه يضرب كلّ ما عاشه مُذ كان طفلاً يهوي بالمطرقة على سجنه، على غيابه، على اليأس من مُغادرته تلك العتمة، على شوقه الجارف إلى زوجته. كان غائباً في غضبه، متحداً مع مطرقته في هدم كل الجدران التي واجهته، وهو الوحيد، الغائب، السجين، الموجوع، الجائع، العطش. تداعت الصخرة أمامه فانطلق الماء بقوة وجرف معه كل شيء» (م.ن: ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٨).

بهذه الخاتمة المعبّرة المفعمة برمزية الأصوات يُنهي القاص روايته عن القافر وسيرته العجيبة التي جاءت لتحكي قصة المعاناة المطعّمة بالأمل، وتروي أنوار الحياة المنبعثة من ظلمة الخرافة الجاثمة على صدور المجتمع المغيّب في أعرافه الموروثة. لقد استطاع

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

الروائي من خلال توظيف أصوات الطبيعة الحية تعزيزَ معنى الحياة السامي وجعله طموحاً وهدفاً يجدر بالإنسان المعاصر أن يشدّ الرحال في طلبه، ويجعله نصب عينيه كي لا يغيب عن وعيه هدف الوجود منه وهدفه من الوجود.

نتائج البحث

تبنَّت هذه الدراسة تحليلَ رواية "تغريبة القافر" للروائي العماني زهران القاسمي تحليلاً سوسيولوجياً سردياً، وقد توصّلت إلى النتائج الآتية:

١. انتهجت الروايةُ المذهبَ الواقعي في تصويرها لحياة الناس تصويراً حيّاً بكلّ ما يحمل من عادات وتقاليد وآداب درج عليها المجتمع القروي في عُمان. وقد ربط الروائي واقعَ الناس المعاش بالبيئة التي ترعرعوا فيها فانطبعت في نفوسهم بساطتها وجمالها من جهة، وسلبياتها وقساوتها من جهة أخرى. وقد مازج القاص بحرفية مشهودة بين هموم الناس في حياتهم الاجتماعية وبين طبيعة البيئة الريفية، فأتى بلوحة فنية متجانسة الشكل والمحتوى لا يعتريها تزويق مصطنع.

٢. تنقد الرواية بصورة غير مباشرة التقاليدَ والأعراف البائدة التي ترسّخت في ذهنية المجتمع التقليدي في محاولة إصلاحية تدعو إلى قراءة جديدة للموروث القبلي وإحياء سلطة الوعي المغيّبة عن قناعات الناس. فهي بدعوتها هذه تستنهض الفكر وتناشد المعرفة ليسود منطق العقل وينهار جدار الجهل والتخلّف.

٣. تناولت الروايةُ البيئةَ والطبيعةَ من جوانب عدّة، فسلّطت الضوء على كثير من مشاكلها وما لها من تأثيرات على حياة الناس، وخاصةً الفلاحين والمزارعين الذين ارتبط مصيرهم بالماء أي جوهر الحياة في القرية. وقد برع الكاتب في توظيف عنصر الماء في روايته توظيفاً أساسياً وفنياً ارتبطت به جميع أحداث القصة.

٤. استدعت الروايةُ طائفةً من أصوات الطبيعة سواء أصوات الإنسان أو أصوات الكائنات الأخرى في منحى سردي مبتكر وإبداع فني حديث يصبو إلى معرفة معانيها الخفية من خلال فكّ رموزها واستخراج دلالاتها المبطّنة والتعرف إلى قواسمها المشتركة بينها وبين الإنسان.

٥. انتهت الدراسة إلى تحديد خمسة أنواع من الأصوات الرئيسة الواردة في الرواية، على الرغم من وسعة المضمون الصوتي فيها، فكانت من حيث المحتوى الموضوعي كالآتي: أصوات الوهم والخيال، أصوات الحب والغرام، أصوات البؤس والحرمان، أصوات الجرح والتأنيب، أصوات الأمل والحياة.

٦. استمد الروائي مادته القصصية من التراث العُماني والتقاليد والأعراف السائدة في أريافها. فكانت صورةً حقيقيةً للتركيبة الاجتماعية والبيئة الطبيعية لها على الرغم من غرابتها وتجاوزها المألوف، خاصةً الصورة الاسطورية لبطل القصة (القافر) الذي كان يتمتع بمواهب خارقة تعدّت حدودها المتعارفة .

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

٧. تعجُّ الرواية بأصوات متراكمة ومتراكبة تجتمع في نسيج متناغم واضح السياق بعيد عن الإغراب والإسفاف. فتأتي تارةً مستبقة الأحداث بجلبة متعمّدة وممنهجة، وتارةً أخرى تذوب في صميم القصة بصمت دون أن تحدث دوياً يُسمع. من هنا باتت الأصوات عامةً جزءاً متلاصقاً بجوهر الحكاية لا يحسُّ القارئ بانفصالها عنه.

٨. تبيّن من خلال التحليل السوسيولوجي أنَّ الروائي حاول أن يستدرج معظم الأصوات الواردة في الرواية وعلى رأسها صوت الماء الذي يسيل من عيون الجبال وجفون الرجال وسواقي السماء ومآقي النساء إلى قلب الحدث ليبثّ لوعةً وشجناً لذلك الإنسان المقهور الذي بات عرضةً لأطماع المستبدين من أصحاب القدرة والمال.

٩. اتصفت الرواية من حيث البناء الفني والحبكة السردية ببساطة التعبير وسهولة الأداء ووضوح الصورة وتنوع الأصوات وبراعة العرض وجمالية النص. وقد هيمنت الطبيعة البيئية على معظم مفاصل الرواية فكان طبيعياً أن تأتي الصورةُ الفنيةُ مُزدانةً بمظاهر الطبيعة الخلابة ومفاتنها الرائعة. وفضلاً عن لغة الرواية الفصيحة فقد وردت بعض مفردات العامية العُمانية من أمثال شعبية وعبارات دارجة لتضفي على الرواية هويةً محليةً خاصة.

١٠. في الرواية دعوة إلى تعامل عقلاني مع البيئة وضرورة الاستفادة الصحيحة من الموارد الطبيعية. فالماء باعتباره عنصراً أساسياً للبقاء والحياة لا بد أن يُحسن استعمالُه ويتم ترشيده كي لا يتبدل من نعمة إلى نقمة، ومن عطاء إلى بلاء كما حصل في مواطن ريفية جرفتها السيول فأصبحت بعد مدة مناطق قاحلة لا يسكنها إنسان.

المصادر

- آدلر، ألفريد، (٢٠٠٥م)، الطبيعة البشرية، ترجمة: عادل نجيب بشري، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- آرون، بول؛ فيالا، آلان، (٢٠١٣م)، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة: محمد علي مقلد، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- أستيتية، دلال ملحس؛ سرحان، عمر موسى، (٢٠١٢م)، المشكلات الاجتماعية، عمّان: دار وائل للنشر.
- إيكو، أمبرتو، (٢٠٠٤م)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، الدار البيضاء/المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بدوي، أحمد زكي، (١٩٨٢م)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان.
- برانش، مايكل، (٢٠٠٧م)، «النقد الايكولوجي»، ترجمة: معين رومية، مجلة نوافذ، السعودية، العدد ٣٦، ص: ٢٧-٥١.
- بوتول، غاستون، (١٩٨٤م)، تاريخ السوسيولوجيا، ترجمة: ممدوح حقي، بيروت: عويدات للنشر والطباعة.
- بومعزة، نوال، (٢٠٢٢م)، «السردي والأنثوغرافي في الرواية العُمانية»، مجلة المرتقى، الجزائر، المجلد ٥، العدد ١، ص: ٩٩-١١١.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

- تيمور، محمود، (١٩٧٠م)، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، القاهرة: مكتبة الآداب.
- الحايني، التهامي، (٢٠١٦م)، اللغة والطبيعة، عمّان/الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- حجازي، سمير سعيد، (٢٠٠١م)، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- حجازي، مصطفى، (٢٠٠٥م)، الإنسان المهدور، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- حطّيني، يوسف، (٢٠١٦م)، «زهران القاسمي في رواية (القناص) عاشق يقتنص دهشة اللغة والمكان الأثير»، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، السنة ٤٥، العدد ٥٣٧، ص: ١٧٥-١٩٣.
- جرارد، جرج، (٢٠٠٧م)، النقد البيئوي، ترجمة: عزيز صبحي جابر، أبو ظبي: مشروع كلمة.
- دريدا، جاك، (٢٠٠٥م)، الصوت والظاهرة، ترجمة: فتحي إنقزّو، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- دنتون، مايكل، (٢٠٢١م)، عجائب الماء، ترجمة: فداء ياسر الجندي، الرياض: مركز دلائل.
- ديكارت، رينه، (١٩٩٣م)، انفعالات النفس، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار المنتخب العربي.
- راجا، شيلا، (٢٠١٩م)، دليل علمي تكاملي لعلاج الصدمة النفسية، ترجمة وتقديم: محمد نجيب أحمد الصبوة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- الربيعي، صاحب، (٢٠٠٧م)، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، دمشق: صفحات للدراسات والنشر.
- روسو، جان جاك، (٢٠١٢م)، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- زهران، حامد عبد السلام، (١٩٨٤م)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة: عالم الكتب.
- السطالي، نرمين حسن، (٢٠١٨م)، سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء، القاهرة: السعيد للنشر والتوزيع.
- السليمية، منى بنت حبراس، (٢٠١٦م)، «الأصوات الروائية الجديدة في عُمان»، مجلة نزوى، عُمان، العدد ٨٥، ص: ١١١-١٢٦.
- الشايب، أحمد، (١٩٩١م)، الأسلوب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شكري، غالي، (١٩٩٤م)، برج بابل: النقد والحداثة الشريدة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشيخ عطية، المثنى، (٢٠٢٣م)، «تغريبة القافر رواية العماني زهران القاسمي: تناغمٌ وارتقاءٌ فاتن لالتقاط الماء»، يومية القدس العربي، لندن، السنة ٣٥، العدد ١١٠١١٢، ص: ٢٠.
- طه، فرج عبد القادر وآخرون، (١٩٨٩م)، معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عبد الله، محمد حسن، (١٩٨٩م)، الريف في الرواية العربية، الكويت: عالم المعرفة.
- علوش، سعيد، (١٩٨٥م)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- العيسوي، عبد الرحمن، (١٩٨٥م)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

- فروم، إريك، (٢٠٠٩م)، المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- فرويد، سيجموند؛ شتيكل، وليم، (٢٠٢١م)، الكبت تحليل نفسي، ترجمة: علي السيد حضارة، الجيزة: وكالة الصحافة العربية.
- فضل، صلاح، (١٩٨٠م)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة: دار المعارف.
- القاسمي، زهران، (٢٠٢٢م)، تغريبة القافر، تونس: دار رشم للنشر والتوزيع.
- القحطاني، نورة بنت سعيد، (٢٠٢١م)، «جدلية الإنسانية والحيوانية في الرواية العربية: مقاربة إيكولوجية»، مجلة سرديات، جامعة قناة السويس، مصر، المجلد ١١، العدد ٤٢، ص: ١١٧-١٣٦.
- كرم، انطون غطاس، (١٩٤٩م)، الرمزية والأدب العربي الحديث، بيروت: دار الكشّاف للنشر والطباعة والتوزيع.
- لابلانش، جان؛ بونتاليس، ج. ب، (١٩٩٧م)، معجم التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- ليندارو، مارتن، (١٩٩٦م)، الدراسة النفسية للأدب، ترجمة: شاكر عبد الحميد، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- محمَّد، موفَّق، (٢٠٢٣م)، مقال «"تغريبة القافر" تفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية»، جريدة البيان الإماراتية، العدد ١٥٦٧٢، ص ٣٠.
- المعمري، يوسف سليمان، (٢٠١٨م)، «دلالات سيميائية في الرواية العُمانية»، مجلة هرمس، جامعة القاهرة، المجلد ٧، العدد ٢، ص: ١٨٣-٢٢٤.
- النعيمي، فجر جودة، (٢٠١٥م)، علم النفس الاجتماعي: دراسة لخفايا الإنسان وقوى المجتمع، بيروت: دار الرافدين.
- وهبه، مجدي؛ المهندس، كامل، (١٩٨٤م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة لبنان.
- يسين، السيّد، (١٩٩٢م)، التحليل الاجتماعي للأدب، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- يونغ، كارل غوستاف، (١٩٩٤م)، البنية النفسية عند الإنسان، ترجمة: نهاد خياطة، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

References

- Abdullah, Muhammad Hassan, (1989), The Countryside in the Arabic Novel, Kuwait: knowledge world.
- Adler, Alfred, (2005), Human Nature, Translated by Adel Najib Bishri, Cairo: Supreme Council of Culture.
- Al- Hayini, Al- Tuhami, (2016), Language and Nature, Amman: Dar Safa for publishing and distribution.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

- Al- Issawi, Abd Al-Rahman, (1985), The Psychology Of Socialization, Alexandria: Dar Al-Fikr University.
- Alloush, Saeed, (1985), Dictionary of Contemporary Literary Terms, Beirut: Dar Al-Kitab Allubnani.
- Al-Mamari, Youssef Suleiman, (2018), "Semiotic connotations in the Omani novel", Hermes Journal, Cairo University, Volume 7, No. 2. p. 183-224.
- Al-Nueaymi, Fajr Jawdat, (2016), Social Psychology: A Study of Human Secrets and the Forces of Society, Beirut: Dar Al-Rafidain.
- Al-Qahtani, Noura bint Saeed, (2021), "The dialectics of humanity and animals in the Arabic novel: an ecological approach", Sardiat Journal, Suez Canal University, Egypt, Volume 11, Number 45, pp. 117-136.
- Al-Qasimi, Zahran, (2022), The Alienation oe the water, Tunisia: Dar Rashm for publishing and distribution.
- Al-Rubeai, Sahib, (2007), Despotism and The Oppressed People, Damascus: Safahat for studies and publishing.
- Al-Satali, Nermin Hassan, (2018), The Psychology of violence and its impact on the Social upbringing of children, Cairo: Al-Saeed for publishing and distribution.
- Al-Shayeb, Ahmad, (1991), Style, Cairo: Egyptian Nahda Library.
- Al-Shekh Atiah, Al-Mothanna, (2023), "The Alienation of the Water Diviner, a novel by Omani Zahran Al Qasimi: A charming harmony and elevation to capture water", Al-Quds Al-Arabi daily, London, Year 35. No. 110112. p. 20.
- Al-Sulimia, Mona bint Hibras, (2016), "New narrative voices in Oman", Nizwa Journal, Oman, No. 85. p. 111-126.
- Aron, Paul; Viala, Alain, (2013), Sociologie la Littérature, Translated by Muhammad Ali Muqqaled, Beirut: United New House.
- Badawi, A. Z., (1982), A Dictionary of the Social Sciences, Beirut: librairie du liban.
- Bottool, Gaston, (1984), History of Sociology, Translated by Mamdouh Haqqi, Beirut: Owaidat Publishing and Printing.
- Boumaza, Nawal, (2022), "Narrative and Ethnography in the Omani novel", Elmourtaka Journal, Algeria, Volume 5, No. 1. p. 99-111.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

- Branch, Michael, (2007), "Ecocriticism", Translated by Mueayn Rumya, Nawafiz Journal, Saudi Arabia, No. 36. p. 27-51.
- Denton, Michael, (2021), The Wonder of Water, Translated by Fida Yasser Al-Jundi, Riyady: Dalail centur.
- Derrida, Jacques, (2005), La voix et le phénoméne, Translated by Fathi Enqzo, Casablanca\Morocco: Arab Cultural Center.
- Descartes, René, (1993), les passions de l'âme, Translated by George Zinati, Beirut: Dar Al-Muntakhab Al-Arabi.
- Eco, Umberto, (2004), Interpretation between Semiotics and Deconstruction, Translated by Saeed Benkrad, Casablanca\Morocco: Arab Cultural Center.
- Fadl, Salah, (1980), The Approach to Realism in Literary Creation, Cairo: Dar Almaref.
- Freud, Sigmund; Stickel, William, (2021), Repression Psychoanalysis, Translated by Ali Alsayid Hadara, Al-Jiza\Egypt: Arab Press Agency.
- Fromm, Erich, (2009), Normal Society, Translated by Mahmoud Munqidh Al-Hashemi, Damascus: The Syrian General Book Authority.
- Gerrard, George, (2007), Environmental Criticism, Translated by Aziz Sobhi Jaber, Abu Dhabi: kalimaprojectad.
- Hatini, Youssef, (2016), "Zahran Al-Qasimi, in the novel (The Sniper), is a lover who captures the amazement of the language and the favorite place", Al-Mawqif Al-Adabi Journal, Syria, Year 45, Number 537, pp. 170-193.
- Hijazi, Mustafa, (2005), The Wasted Man: A Psychosocial Analytical Study, Casablanca\Morocco: Arab Cultural Center.
- Hijazi, S. S., (2001), Dictionary of Contemporary Literary Criticism Terms, Cairo: Dar Al-Afaq Al-Arabia.
- Jnng, Carl Gustav (1994), The Psychological Structure of a Person, Translated by Nihad Khayyata, Latakia\Syria: dar alhiwar for publication and distribution.
- Karam, Anton Ghattas, (1949), Symbolism and Modern Arabic Literature, Beirut: Dar Al-Kashaf for publishing, printing and distribution.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

- Laplanche, J.; Pontalis, J. B., (1997), Vocabulaire Psychanalyse, Translated by Mustafa Hijazi, Beirut: Entreprise Universitaire D'Etude et de Publiccation.
- Lindauer, M., (1996), The Psychologcal Study of Literature, Limitations, possibilities, And Accomplishments, Translated by Shaker Abdul Hamid, Cairo: The General Organization of Culture Palaces.
- Muhammad, Muwaffaq, (2023), "The Alienation of the Water Diviner wins the International Prize for Arabic Fiction", Al Bayan Emirati newspaper, No. 15672. p. 30.
- Raga, Sheela, (2019), Aworkbook Integrating Skills for Overcoming Trauma, Translated by Muhammad Najeeb Ahmad Al-Sabwa, Cairo: Anglo-Egyptian Library.
- Rousseau, Jaen Jacques, (2012), Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, Cairo: Hindawi Foundation for Education.
- Shukry, Ghali, (1994), The Tower of Babel: Criticism And Modernity, cairo: Egyptian General Book Authority.
- Staiti, Dalal Malhas; Sarhan, Omar Musa, (2012), Social Problems, Amman: Dar Wael for publishing and distribution.
- Taha, F. A., (1989), A Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabia.
- Taymur, Mahmoud, (1970), Trends in Arabic Literature in the Last 100 Years, Cairo: Arts Library.
- Wahba, M., and Kamel Al-muhandes, (1984), A Dictionary of Arabic literary and linguistic terms, Beirut: Librairie du Liban.
- Yasin, Alsayed, (1992), Social Analysis of Literature, Cairo: Madbouly Bookshop.
- Zahran, H. A., (1984), Social Psychology, Cairo: Alam Al-kotob.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

فصلنامه مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶   شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

تحلیل جامعه‌شناختی پدیدهٔ صداها در رُمان "غربتِ ردیابِ آب" اثر زهران القاسمی داستان‌نویس عُمانی

حیدر محلاتی [۱]

چکیده
زهران القاسمی اولین رُمان نویس عُمانی است که در سال ۲۰۲۳ میلادی به پاس نگارش رُمان اجتماعی «غربتِ ردیابِ آب» برندهٔ جایزهٔ بین‌المللی ادبیات داستانی عربی (بوکر) شد. نویسندهٔ این رُمان، محیط روستایی کشور عمان را به تصویر می‌کشد که با دو قدرت طبیعت وجاه طلبی انسان دست وپنجه نرم می‌کند. این پژوهش سعی دارد واقعیات اجتماعی رُمان را بر اساس اصول تحلیل جامعه‌شناختی بررسی نماید، وبه تبیین ساختار روابط اجتماعی ناشی از تعامل افراد جامعه بپردازد. در این رُمان بر مجموعه‌ای از صداها ونواها تأکید شده که به صورت رمزگونه در این اثر حضور دارند. نویسندهٔ این رُمان با بهره‌مندی از عنصر صدا وتمرکز بر صداهای انسان ودیگر صداهای طبیعت، می‌کوشد معانی ومفاهیم آن را رمزگشایی نموده، ومیزان اثرگذاری آن را در زندگی انسان نشان دهد. این پژوهش بر آن است تا با استفاده از روش توصیفی - تحلیلی، سبک مبتکرانهٔ نویسنده را در به کارگیری صداهای طبیعت در رُمان خویش بررسی وتحلیل نماید. از دیگر اهداف این پژوهش رمزگشایی این صداها وتبیین مفاهیم آن در ارتباط با فرهنگ وتفکر روستانشینان است. نتایج این پژوهش نشان می‌دهد که رُمان‌نویس با توانمندی حرفه‌ای خود توانسته عنصر صدا را که از عناصر مهم طبیعت به شمار می‌رود، به کار گیرد، واز آن به عنوان ابزار تبیین رنجهای فروخفتهٔ روستاییان استفاده کند.

کلمات کلیدی: روایت‌شناسی عربی، زهران القاسمی، تغریبه القافر، رُمان عُمانی، کشور عُمان، تحلیل جامعه‌شناختی.

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۴/۲۸
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۳/۰۹/۲۸

فصل زمستان ۱۴۰۳ (سال ششم، شماره ۱۵)، صص. ۱۴۸-۱۱۹
دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2025-12-09]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2025.6.2.12.7]

[۱] دانشیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه قم، ایران،
ایمیل: h.mahallati@qom.ac.ir

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
حق مولف© نویسندگان